دراسات لبنانية وعربية
٢

د. حسّان حلّاق

أيّة ثقافة وأيّة سياسة للتعايش في لبنان

الدار الجامعية

A
305.6
H 181

A
305.6
H181a

أيّة ثقافة وأيّة سياسة للتعايش في لبنان

د. حسّان حلّاق

B. U. C. LIBRARY
3 DEC 1988
RECEIVED

الدار الجامعية

أية ثقافة وأية سياسة للتعايش في لبنان ؟

التعريف اللغوي والاستخدامي لاصطلاح « الثقافة »

استخدم لفظ « الثقافة » (culture) بمعان عديدة وابعاد شتى ، فاستخدمت بمعنى التربية والتهذيب وتثقيف العقل والتمدن ، وبمعنى الفهم وامتلاك المعلومات المتنوعة الإجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية . وقد استخدم العرب الاوائل لفظ او اصطلاح «الثقافة » على انه : الحذق ، والفطنة والذكاء ، وسرعة التعلم والضبط ، والظفر بالشيء والتغلب عليه ، ومنها التقويم والتهذيب . ويقال للرجل ثقف ، بتسكين القاف وبكسرها وبضمها ، ويقال ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً أي حذقه .

وفي العهد الروماني استخدمت كلمة « الثقافة » للدلالة على العلوم الانسانية التي تستقل بها كل امة عن غيرها من الامم ، كعلوم الدين واللغة والاداب والفنون ايضاً ،

واستخدمت الكلمة في عصر النهضة الاوروبية على انها الاداب والفنون .

يقول « هنري لاوست » : « ان الثقافة هي مجموعة الافكار والعادات الموروثة التي يتكون فيها مبدأ خلقي لامة ما ، ويؤمن اصحابها بصحتها وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الامة تمتاز عن سواها » .

ويرى « ارنست باركر » : « ان الثقافة ذخيرة مشتركة لامة من الامم تجمعت لها ، وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل ، وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية هي جزء من تلك الاخيرة المشتركة من الافكار والمشاعر واللغة » .

ويقول « مايثو ارنولد » : « ان الثقافة هي محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الانساني ، مما يؤدي إلى رقي البشرية » واضاف قائلاً : « ان الدين من العناصر التي استعان بها الإنسان في محاولته الوصول إلى الكمال » .

ويرى رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣) : « ان توصيل الولد إلى الرتبة المطلوبة والدرّجة المرغوبة ، تتوقف على حسن التربية والتهذيب ، والتعليم والتهذيب ، ولا يخفى ان الله سبحانه وتعالى شرّف الإنسان بمضغتين صغيرتين هما : قلبه ولسانه . . » .

ويرى عبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٤ - ١٩٠٢) في

مجال الثقافة والتربية الوطنية ضرورة الحفاظ على التقاليد والعادات الدينية والقومية كقوله : « ومن اقبح اثار هذا الخور (الضعف) نظرهم الكمال في الاجانب . . فيندفعون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنونه رقة وظرافة وتمدناً ، وينخدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به . . وكاهمال التمسك بالعادات القومية . . » . وفي الفترة المعاصرة يرى الإمام الخميني « ان التربية قبل التعليم ، وان لم تكن قبل ، فلا اقل من ان تقترن به وهي افضل رتبة ومنزلة ، واذا لم تطهر النفس وتتخلص من الشبهات الفاسدة ، فسيكون للعلم تأثيره السيء فيها » . ويقول ايضاً بانه « يجب ان تكون ثقافتنا اسلامية يجب الخروج من الثقافة التابعة للاستعمار . ان الثقافة هي مصنع الإنسان ، خاصة ان الانبياء جاءوا لاجل هذا الامر . . . لو صلح المعلم والمثقف لصلح البلد ولو انحرفا لخربت البلاد » .

وفي السنوات العشر الاخيرة (١٩٧٥ - ١٩٧٦) ظهر في لبنان من ينادي بالثقافة المسيحية ومن ينادي بالثقافة الاسلامية ، ومنهم من نادى بالثقافة الوطنية والقومية . علماً ان الثقافة بمفهومها الشامل تشمل الدين والنشاط الإنساني بما فيه الاداب والعلوم والفنون والعادات ، والادب الشعبي وأدب الخاصة ، والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والحكم والادارة واساليب المأكل والمشرب والزي ووسائل العمل النفسي والإجتماعي . .

اضواء تاريخية على العلاقات الحضارية بين المسلمين والمسيحيين

دأبت المؤلفات القصصية والجامعية على ابراز الصراعات العسكرية والسياسية بين المسلمين والمسيحيين عبر التاريخ ، لا سيما بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي ، ومن الثابت ان هذه الصراعات كانت موجودة ، غير انه من الثابت ايضاً بان العلاقات الحضارية والانجازات الانسانية كانت موجودة ايضاً ومماثلة للعيان سواء في الاندلس او في صقلية او في بلاد الشام ، وفي قبرص ورودوس وكريت وجنوى والبندقية وبيزا وفي مختلف مناطق التمازج الحضاري .

ففي العام ٣٤٤ هـ - ٩٥٥ م وصلت إلى قرطبة سفارة اسبانية مسيحية من قبل الملك « اردون الثالث »والتقت هناك مع الخليفة عبد الرحمن الثالث لبحث كافة الامور التي تهم الشعبين . ومن الوفود الاخرى إلى قرطبة وفد « سانشو » وسفارة ملك برشلونة وملك طركونة . ومن الوفود المسيحية إلى طليطلة وفد الملك الفونسو السادس ملك قشتالة . وهناك سفارات ومعاهدات صداقة بين الجانبين لا يمكن ذكرها جميعاً في هذا المجال ، منها المعاهدة المبرمة بين السلطان اسماعيل وبين ملك اراغون الدون خايم . . كما شهدت العلاقات الإسلامية - المسيحية الكثير من السفارات المتبادلة بين الاندلس وبيزنطة ، وبين الاندلس واوروبا. وفي صقلية كانت العلاقات الحضارية والعلمية واضحة بشكل بارز بين المسلمين والمسيحيين ، حتى

بعد انتهاء الحكم الاسلامي من صقلية في القرن الحادي عشر الميلادي وبلغ الامر بروجر الاول (١٠٩٢- ١١٠١ م)ملك صقلية ، واكراماً للمسلمين الصقليين ، ان رفض الاشتراك في الحملات الصليبية على المشرق العربي رغم الحاح البابا . وقد سأل اسقف مدينة كابوا مرة حاشية ملك صقلية : لماذا لم يأمر المسلمين بالتنصر ؟ فكان جوابهم بصوت واحد لا تقل هكذا . بل منع « رجار » المسلمين اشد المنع عن ترك دينهم . ويذكر العالم الجغرافي الادريس في كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » انه « لما صار امرها (اي الجزيرة) إليه واستقر بها سرير ملكه ، نشر سيرة العدل في اهلها واقرهم على اديانهم وشرائعهم وامنهم في انفسهم واموالهم واهليهم وذراريهم . ثم اقام على ذلك مدة حياته إلى ان وافاه الاجل المحتوم وتقضاه يومه المعلوم » . وقد استمرت الجاليات الاسلامية في صقلية تلقى المعاملة الحسنة إلى اواخر القرن الثالث عشر حيث بدأت بعض القوى المسيحية تلزم المسلمين بدفع الجزية وبلبس زي خاص يميزهم عن المسيحيين ، كما شهدت صقلية والمدن الايطالية الاخرى مأساة إسلامية ، بارغام المسلمين واكراههم بالقوة على الدخول في الكثلكة وترك اسلامهم على يد شارل الثاني . وانتهى بذلك تماماً الوجود الإسلامي في صقلية وايطاليا .

وفيما يختص ببلاد الشام ابان الحروب الصليبية فقد شهدت العلاقات الاسلامية - المسيحية مؤثرات وعلاقات متبادلة وتمازج حضاري بين الشرق والغرب . ولم تكن العلاقات كلها علاقات

عسكرية ، بل قامت بينهما علاقات من الود والصداقة والتأثيرات المتبادلة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والطبية والسياسية . وقد اشار ابن جبير واسامة بن منقذ وابن واصل وابو شامة وابن شداد والمقدسي وابن الاثير وسواهم إلى هذه العلاقات المتبادلة . والامر الملاحظ ان التسامح الديني في بلاد الشام بلغ في بعض الاحيان حداً ملفتاً للنظر ، حيث ان السلاطين والامراء المسلمين كثيراً ما ارسلوا اطباءهم الخاصين لمعاينة اعدائهم من الملوك الافرنج ، بل ان المسلمين والمسيحيين كانوا في بعض الاحيان يقيمون الصلاة في مسجد واحد على حد ما جاء في رحلة ابن جبير . وكانت العلاقات السلمية والحضارية بين الافرنج والمسلمين تنعكس ايجاباً على العلاقات الاسلامية - المسيحية في جبل لبنان ومناطق الساحل . وقد اشار الرحالة في العصور الوسطى إلى مثل هذه العلاقات ومنهم ابن جبير حينما تحدث عن المتصوفين والمنقطعين لله والزهاد المسلمين ومعاملة النصارى لهم بالقول : « ومن العجب ان النصارى المجاورين لجبل لبنان اذا رأوا به المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت ، واحسنوا إليهم ويقولون : هؤلاء ممن انقطع إلى الله عز وجل فتجب مشاركتهم . . واذا كانت معاملة النصارى لضد ملتهم هذه المعاملة ، فما ظنك بالمسلمين بعضهم من بعض ؟ » .

ومن يطلع على كتاب « الهدى » دستور الطائفة المارونية في العصور الوسطى من العام ١٠٥٩ م يدرك اهمية العلاقات الحضارية بين المسلمين والمسيحيين ، حيث يمكن تلمس المؤثرات

الدينية الاسلامية بوضوح لا سيما عند دراسة قوانين الصلاة والحيض والطهارة والصوم وحتى الزكاة . علماً إلى اننا لا نريد التطرق في هذا المجال إلى ثقافة التقسيم والتناحر التي ولدت مصطنعة خلال العشر سنوات وقدمت لنا كتباً طابعها التعصب والتقسيم لا التوحيد لانها تمس الاديان بصورة اساسية وفي مقدمتها كتابي : قسى ونبي ، والاسلام بدعة نصرانية ، وبعض كتابات الكسليك التي تتهم الرسول محمد (ﷺ) باتهامات باطلة تمزق شمل اللبنانيين ولا تجمعهم . وبعض الكتابات الموتورة التي تسهم في تقسيم اللبنانيين ، فازدادت الدراسات عن الدروز والشيعة والسنة والعلوية والنصيرية والمارونية ، وهي دراسات تفرق ولا تجمع ، وبالرغم من ذلك فان مطابع ومكتبات بيروت الشرقية تزخر بها .

هذا ويرى الاب ميشيل يتيم والاب اغناطيوس ديك ، بان المسيحية عاشت في ظل الدولة العربية حياة هادئة ، وتمتع بعض المسيحيين في ظل الخلفاء الأمويين والعباسيين بمراكز عالية ووظائف هامة ولم يتعكر الجو بين المسيحيين والمسلمين إلا عندما تدخل الأجانب فاشتدت النعرات الدينية وتعصب كل لدينه ، ونعم النصارى بالحرية التامة في ظل الدولة الطولونية ، وتمتعوا بنفوذ عظيم « فشغلوا المناصب العليا في عهد الفاطميين بمصر ، وشذ عنهم الحاكم بأمر الله الفاطمي . واضاف الاب يتيم والاب ديك « بان النصارى ساهموا مساهمة فعالة في بناء الدولة الاسلامية وتوطيد اركانها وإعلان شأنها من النواحي السياسية

والعلمية والدينية . ولا غرابة في ذلك فالمسيحيون هم سكان البلاد ، وانهم فيها مواطنون تتوجب عليهم خدمتها بصدق وولاء » .

وحول دور المسيحيين في اليقظة العربية فقد اشار صاحبا « تاريخ الكنيسة الشرقية » بانه كان للمسيحيين حظ كبير في بعث النهضة الفكرية والقومية ، ولم يعودوا يعتبرون اهل الذمة والجيرة ، بل اضحوا مواطنين يتمتعون بملء الحقوق كمواطنيهم المسلمين . وتحرر العرب من سيطرة العثمانيين بعد الحرب العالمية الاولى ، ثم نبذوا الحماية الغربية ، ، واخذوا يتطلعون إلى الوحدة القومية الشاملة وهم سائرون إليها ولا بد، على حد ما جاء في كتابهما . وحول الثقافة العربية ودور الموارنة في نشرها قالا : بان الموارنة لعبوا دوراً بارزاً في نقل الحضارة العربية إلى الغرب . وفي الشرق نفسه فتحوا المدارس الكثيرة ونشروا العلم والمعرفة . ولا بد من ذكر ما كان للمطران جرمانوس فرحات من فضل في رفع مستوى الثقافة العربية بين النصارى مع زميليه الملكيين عبد الله زاخر ونقولا صائغ .

موقف المسلمين من الطروحات المارونية والثقافة التبشيرية

ان الموقف الإسلامي من دور الموارنة وبعض المسيحيين في موضوع العروبة والقومية العربية لا سيما في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، هو موقف المتألم والحذر لا لشيء إلا لان الذين طرحوا العروبة لواء لهم في فترة سرعان ما تخلوا عنها عندما

وجدوا ان مهمتها انتهت بالنسبة إليهم . كيف ذلك ؟ .

لقد تبين للمسلمين بان الهدف من طرح موضوع القومية العربية هو فصلهم عن الدولة العثمانية التي كانت وقتذاك دولة الخلافة الاسلامية ، ولاحظ المسلمون انه منذ ان انتهت الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ وتم القضاء على الدولة العثمانية حتى تنكر رواد القومية العربية من بعض مسيحيي جبل لبنان لهذه القومية ولزملائهم القوميين ، وعملوا على تأييد الانتداب الفرنسي بشكل واضح . وبذلك اهملت القومية العربية لان مهمتها انتهت بانتصار دول الغرب ، واعتبر المسلمون والقوميون بان هذا الاسفين الذي دكه الموارنة وسواهم لانصار القومية العربية بمثابة بداية من بدايات حركة « المارونيسم » السياسية والطائفية . واعتبر بعض الموارنة الذين يدينون بالثقافة المارونية البحتة(*)، بانه من المقابلة بين مختلف العهود التي اختبرها الموارنة طوال ١٣٠٠ سنة ، يتضح ان عهد الوطن القومي الماروني المستقل عن الدول الاسلامية عربية كانت ام غير عربية هو العهد الذهبي الامثل . واعتبر فريق آخر من الموارنة بان انقاذ لبنان من الدولة العثمانية هو انقاذ للمارونية ، لان هذا الفريق يعتبر ان الارض اللبنانية هي ارض مسيحية بل مارونية مستقلة عن الارض الاسلامية المحيطة بهم . وحارب الموارنة فكرة تعريب لبنان لان ارضه « ارض مسيحية » ذلك لان العرب لم يسكنوا يوماً واحداً في « لبنان المسيحي » على حد قول توما . في حين

(*) مثال الاب بطرس ضو .

رأى كمال الحاج بان عروبة لبنان هي علة كل المشكلات الاجتماعية والسياسية في لبنان ، مع الاشارة إلى انه يرى بان المسيح عربي الاصل . واخطر من ذلك فان وليد فارس المتأثر كثيراً بالازمة اللبنانية وبالصراعات التي افرزت نتائج مؤقتة ، فانه يرى بان في لبنان قوميتان : القومية العربية الاسلامية ، والقومية اللبنانية المسيحية .

لقد وضع ازاء القومية العربية القومية اللبنانية ووضع الاسلام في مواجهة المسيحية ! هذه هي « ثقافة الحرب اللبنانية » التي طغت على بعض اللبنانيين بحيث بدأ كل واحد يفكر من منظوره الطائفي والسياسي ، دون الالتفات مرة واحدة إلى نظرية « نفعية التاريخ » . ان التاريخ اللبناني أكد عبر عدد من الازمات منذ ما قبل القرن التاسع عشر ، ان جميع الازمات اللبنانية بما فيها الازمة الراهنة هي ازمة مؤقتة مهما طالت ، لان السنوات مهما كان عمرها لا تمثل سوى مرحلة من مراحل التاريخ السياسي لشعب من الشعوب . واحداث التاريخ في العالم وفي لبنان تؤكد ذلك واكثر من ان تحصى .

ان عدم توافق اللبنانيين حول بعض القضايا لا يعني بان جميع المسيحيين متفقون ، ولا يعني بان جميع المسلمين متفقون ، سواء حول الامور السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية ، بل وحول الامور الدينية ، ومن هنا كانت دعوة الاب الياس اندرواس البولسي عام ١٩٣٠ « لاجل الاتحاد » بين المسيحيين انفسهم . وبالرغم من ان اعلان لبنان الكبير عام ١٩٢٠ احدث

انقساماً بين المسلمين والمسيحيين في لبنان ، غير ان المسلمين رأوا امكانية الانصهار في هذا « اللبنان» شرط اقامة العدل والمساواة.

والحقيقة لابد في هذا المجال من ذكر بعض الملاحظات حول هذا الموضوع :

اولاً : ان عدم تجانس اللبنانيين وعدم تمازجهم وترابطهم ليست مسؤوليتهم فحسب ، وإنما كانت مسؤولية دولية تعود إلى التدخلات الفرنسية والبريطانية والروسية والنمساوية والايطالية في شؤون الدولة العثمانية بحجة حماية الاقليات ، واتباع اسلوب الفتن الطائفية بين الفئات اللبنانية وامدادها بالاسلحة ، وقد حدث ذلك فعلا في الفترة الممتدة من ١٨٤٠ - ١٨٦٠ .

ثانياً : حقيقة ان اعلان دولة لبنان الكبير اوجد عنصراً جديداً من عناصر النزاع ، ولكن هذا النزاع ما كان ليحيا لولا الممارسات الفرنسية والطائفية على السواء التي أثارت الشكوك والريبة في نفوس بعض اللبنانيين لا سيما انه كان من اهدافها صبغ لبنان بصبغة طائفية مذهبية .

لا يستطيع احد ان ينكر ما كان لفرنسا ولبعض القوى التبشيرية من دور في ايجاد التناقضات الثقافية والسياسية بين المسلمين والمسيحيين في لبنان، بل بين المسيحيين انفسهم . وقد اكد الشاعر القروي رشيد سليم الخوري من ان المبشرين الاميركيين قاموا بدور هام في النزاعات المسيحية وفي اضافة طائفة جديدة إلى الطوائف المسيحية . ومما قاله : « ان طوائفنا العديدة قد

زيدت بفضل تعرفا على الرسالة الاميركية طائفة جديدة اسمها الطائفة الانجيلية . وكم انفق الاميركيون ، لكي يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه ، كأننا اشد افتقاراً إلى فضائل المسيحية من الاميركيين انفسهم ؟ . . » .

لقد اسهمت الدول الاوروبية ومؤسساتها التبشيرية في زرع « ثقافة التقسيم » لا سيما في القرن التاسع عشر وفي عهد الانتداب الفرنسي في لبنان ، على غرار بعض الكتب التي صدرت في حرب السنوات العشر والتي ساهمت ـ ولا تزال ـ بتعميق وتأصيل « ثقافة التقسيم » . فمنذ العام ١٩٢٨ وفرنسا تدأب ان تعلم في مدارس لبنان كتاب المونسنيور كولي « البحث عن الدين الحقيقي » (Recherche de La Vraie Religion) الذي جعل من الرسول محمد (ﷺ) فاجراً وسارقاً وجشعاً على الملذات . ورأى ان الانجيل انتصر على القرآن في معركة بواتييه عام ٧٥٢ م . وهناك العديد من الكتب التي غرستها المؤسسات الثقافية الاجنبية لتعمل على تقسيم اللبنانيين ، ومن الكتب الاخرى المتطرفة ضد المسلمين والاسلام الكتاب المطبوع في بيروت : تاريخ محاضرات للشرق الادنى ، ج ايزاك ، حررها أ . ألبا .

Histoire , cours J . Issaac , Redigée Par A . Alba Pour le Proche Orient

ان مثل هذه السياسات الثقافية والسياسية هي التي اوجدت جيل القيادات الذي فجّر الحرب ،والحرب بحد ذاتها وما رافقها

من تطورات سياسية وعسكرية وطائفية وثقافية هي التي اوجدت جيل الحرب ،الجيل المنقسم بين مشرّق ومغرّب . بل ان المسيحيين انفسهم ينقسمون في بعض الاحيان من وجهة تحديد الكينونة اللبنانية والهوية اللبنانية ، لان منابع ثقافتهم تنوعت وتغيرت واجتهدت ، ومثال ذلك :

١ ـ يرى امين ناجي صاحب كتاب « فلسفة العقيدة الكتائبية » بان هناك قومية لبنانية ومفهومه حولها انه « لا نعود بالقومية اللبنانية إلى الاسباب عند سائر القوميات في المنطقة او في العالم . بل هي نتيجة لوجود الدولة اللبنانية ، أي ان وجود الدولة اللبنانية هو الذي اوجد القومية اللبنانية (المسيحية) وطالما ان الدولة اللبنانية المستقلة موجودة ، فان القومية اللبنانية موجودة .

٢ ـ يرى كمال الحاج بان القومية اللبنانية موجودة في لبنان بينما القومية العربية غير موجودة وقال : لا وجود لقوميتين في دولة واحدة ولا وجود لدولتين في قومية واحدة « ويعني ان كل من يعمل في سبيل قومية غير لبنانية يعمل سراً او جهاراً بوعي او بلا وعي في سبيل القضاء على لبنان فعلاً وقانوناً » .

٣ ـ يناقض وليد فارس ما طرحه كمال الحاج ، فأقر بوجود قوميتين في لبنان هما : القومية المسيحية اللبنانية (هكذا) والقومية العربية الاسلامية ، وبوجود حضارتين فيه هما : الحضارة المسيحية والحضارة الاسلامية . ورأى بان صانعي

الميثاق الوطني عام ١٩٤٣ لم يدركوا بان التنازلات المتبادلة لا تصلح في بيئة تعددية تقوم على حضارتين وقوميتين مثل البيئة اللبنانية ، فلم يتكلموا عن لبنان مسيحي آرامي له اكثر من ستة آلاف سنة من التاريخ ، ولم يتكلموا عن لبنان عربي له ثلاثة عشر قرناً من الوجود ، بل اخترعوا عبارة « لبنان ذو وجه عربي » ظانين انها تحل جميع المشاكل القومية .

التعددية الحضارية والدينية ام التنوع الثقافي والديني ؟

ان الثقافة الطائفية والمذهبية ـ وهي غير الثقافة الدينية والتدين ـ هي التي ادت إلى النظريات والمفاهيم التعددية والانقسامية بمعانيها السياسية ، وهي التي ادت إلى التكتلات الطائفية . مما دعا صحيفة « النهار » منذ العام ١٩٤٦ إلى التنديد بالتكتلات الطائفية متسائلة : ايجوز ان يتم هذا التكتل الطائفي في عصر القوميات والعصبيات العنصرية ، عصر الجامعة العربية والكتلة السلافية والعائلة الانكلوسكونيةوالكتلة اللاتينية ؟ واجابت « النهار » بسخرية : انه رغم التيارات الطائفية في لبنان يصرح البعض بان لبنان هو درة الشرق العربي ودماغه المفكر « فهلا اشفق الداعون الى التكتل على اساس طائفي على سمعة لبنان ، واتخذوا لنشاطهم سياقاً آخر لئلا يشمت بنا الشامتون وتعصف باستقلالنا الرطب العود اعاصير السياسة الانتهازية التي تتربص بنا الدوائر ! .

وكانت الدوائر الفرنسية قد زرعت بذور هذه الطائفية على

مبدأ الفعل وردة الفعل وقد ورد في « تقرير اساليب السياسة الفرنسية » بان للمدارس الطائفية اثراً على ثقافة النشء الجديد ، ذلك ان الاساتذة الفرنسيين في المدارس الطائفية كانوا يقولون لتلاميذهم : بان البروتستانت والارثوذكس والمسلمون هالكون لانهم لا يخضعون لسلطة الحبر الاعظم (البابا) وانه ممنوع دينياً على المسيحي الكاثوليكي ان يتزوج من هذه الطوائف غير الكاثوليكية ، وجاء في التقرير بان المدرسة هي محرك دماغ الامة . لذا فان انقسام اللبنانيين هو في اختلاف ثقافتهم ونزعاتهم الفكرية واختلاف وجهات نظر مدارسهم حول لبنان ، كما ان لديانة المدرسة اثر في توجيه الطلاب شرقاً وغرباً .

وذكر كمال جنبلاط خطورة الاتجاهات الطائفية وانقسام لبنان بين الطوائف . ورأى أن الزعماء السياسيين ورجال الدين ظلوا يتسابقون النفوذ الطائفي ، هذا باسم الموارنة وهذا باسم الدروز وذاك باسم الشيعة والسنة ، كل يتعلق بأهداب سياسة طائفته يبغي الزيادة في تقوية سيطرتها السياسية والاقتصادية . اما المدارس والجامعات فرأى جنبلاط ان بعضها كان يساهم في تطور الحياة الفكرية ، ولكنها في الوقت نفسه كانت لا تزال تستخدم العلم للمحافظة على الروح الطائفية وتقويتها ونشرها .

ان الخلافات المسيحية ـ الاسلامية لم تكن بالضرورة خلافات دينية ، وان كان طابعها الخارجي يسير وفق الاسس

تأثروا بالثقافة المتعددة الطارئة ، وتأثروا بالفكر السياسي السائد في لبنان منذ العام ١٩٧٥ . وهنا لا بد من القول بان زعماء لبنانيين من طائفة واحدة تتعدد مواقفهم وتتباين آراءوهم السياسية والحضارية ، في حين ان زعماء آخرين من طائفتين او من طوائف مختلفة ، تتوحد مواقفهم وآراءوهم السياسية والحضارية . فالتعددية الحضارية توجد بين شعبين او شعوب متعددة او قوميات متعددة . وفي لبنان لا يوجد إلا شعب لبناني واحد ، اختلفت آراءوه السياسية وتعددت اديانه .

٣ ـ ان اصحاب المنهج التعددي الحديث في لبنان ، يريدون بمنهجهم تقسيم لبنان إلى دول دينية ومذهبية ، مستندين بآرائهم بان لكل فئة لبنانية عاداتها وتقاليدها وحضارتها . وفي هذا الاطار فان من الصعب التمييز بين القرى والمدن اللبنانية في مآكلها وعاداتها وتقاليدها وألبستها وامثلتها الشعبية التي يمتد بعضها ليس من قرية لبنانية إلى اخرى ،بل إلى بلدان عربية اخرى . اما فيما يختص ببعض التباين فهو تباين ثانوي وليس اساسياً ، ذلك لان بعض التباين يظهر في اطار الطائفة الواحدة ، بل في اطار الاسرة الواحدة . ويمكن التأكيد بان الماروني في دير القمر يتباين في بعض عاداته وتقاليده ولهجته وملبسه عن الماروني في زغرتا او كسروان او جونية او جنوب لبنان او البقاع . وكل ماروني في هذه المناطق يتباين عن الماروني في المناطق الأخرى فمن الحري ان لا نتخذ من هذا التباين والتنوع حتى في اطار ابناء الطائفة الواحدة

والمذهب الواحد او القرية الواحدة ، مبرراً لآرائنا وافكارنا المبنية على خلفيات سياسية وامنية طارئة وآنية .

٤ ـ لابد لي في هذا الموضوع من الاعتماد على آراء بعض السياسيين والمفكرين المسيحيين من الجيل السابق . فهذه آراء ندره المطران (عضو المؤتمر العربي الاول في باريس ١٩١٣) ذكرها في خطابه في حزيران (يونيه) ١٩١٣ ومما قاله : « ان سوريا (يقصد البلاد السورية كلها) بعد الفتح الاسلامي بمدة قليلة اصبحت عربية محضة بلسانها وعوائدها واخلاقها ، وذلك بفضل اقتدار العرب على استغراق الامم المغزوة وتحويلها إلى لسانها وتقاليدها ، فضلاً عن ان دولة الغساسنة وهم يمانيو الاصل ، كانوا منذ اجيال قد اسسوا في حوران وجوارها دولة زاهرة ونشروا لغتهم وعوائدهم في اقسام واسعة من البلاد السورية . . » ثم اشار إلى موقف الغساسنة ضد الروم المسيحيين وإلى جانب العرب المسلمين واضاف « لعمري في ما ابداه نصاري غسان من العصبية العربية في هذا الشأن الخطير ، لأعظم شاهد على ان العرب متحمسون بالجنس قبل الدين . . وما زال هذا الولاء مستحكماً بين المسلم والمسيحي من عهد عمر بن الخطاب وما هو صحيح في مسلمي العرب صحيح في النصارى لان الدين لا ينفي المصلحة الشخصية ولا يقوم مقام اللسان والعوائد والتقاليد الوطنية . . » وتحدث في الموضوع نفسه عن العروبة والقومية والجنس العربي كل من خليل صلية واسكندر عمون ونعوم

مكرزل وشارل دباس (اول رئيس للجمهورية اللبنانية ١٩٢٦) وشكري غانم الذي خاطب المؤتمرين بالقول : « يا ابناء وطني ، ابناء تلك السلالة العربية المجيدة ، يا من فرقت الحكومات بينكم في الامس ، ومزقت وحدتكم . ثم جمعت بينكم المصائب اليوم . . لقد احسسنا اليوم لحسن حظنا بأننا مهددون بحياتنا ، وبما هو اعز علينا منها إلا وهو شرفنا والعربي حريص على ذلك الكنز » .

٥ ـ ان ما يؤلم المسلم اللبناني ان هذه الاراء في العروبة والقومية التي تبنتها القيادات المسيحية وقتذاك ـ يوم كانت القومية اداة لانقاذ السوريين من الاتراك ـ سرعان ما تبدلت من الاشخاص انفسهم يوم دخول الفرنسيين إلى لبنان . ولا يزال المسلم اللبناني يتألم من بعض المواقف سواء في عهد المغول او الصليبيين او الفرنسيين واخيراً الاسرائيليين . ان تعددية الاديان يجب ان لا تكون مبرراً للفتك بعضنا بالبعض الاخر ، ولايقاع بعضنا بالبعض الاخر . ومن يطلع على سبيل المثال على خطاب البطريرك موسى العكاري (١٥٢٤ ـ ١٥١٧) إلى الامبراطور شارلكان المتضمن دعوته لقيام حملة عسكرية بالتعاون مع مسيحي جبل لبنان ، يدرك ، لماذا يتألم المسلمون من مثل هذه الاتجاهات .

٦ ـ ان العروبة ليست عيباً ولا جرثومة ولا نقيصة ، فالعروبة الاسلامية والمسيحية قامت بدور بارز على مر العصور بانارة ظلام اوروبا ، فأثر العلماء المسيحيين والمسلمين على

اوروبا واضح في شتى المجالات العلمية والفلسفية ونذكر على سبيل بعض العلماء الذين برزوا في مختلف العلوم التي استفادت منها اوروبا ومن هؤلاء : ابن الاشبيلي ، ابراهيم بن عزرا ، الفارابي، ابن سينا ، ابن رشد ، ابن ميمون ، ثابت بن قرة ، الرازي ، البيروني ، جابر بن حيان ، ثابت النصراني ، الطبيب النصراني جورجيوس بن بختشيوع عميد الاطباء في جنديسابور . ومن الاطباء العرب النصارى : يوحنا بن ماسويه ، حنين بن اسحق ، وابناء جورجيوس ، وآخرون مما لا يمكن حصرهم في هذا المجال .

٧ ـ ان نظام الكانتونات السويسري لا يمكن استيراده من سويسرا وتطبيقه في لبنان . وبالرغم من أن البعض يرى فيه النظام المثالي الذي يمكن ان يعتمده لبنان ، غير أن الدارس للاوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والمصرفية والاجتماعية القائمة في سويسرا يدرك تماماً استحالة تطبيق هذا النظام في لبنان ، بالرغم من النظريات القائلة بلبننة النظام السويسري .

٨ ـ لابد من التساؤل اخيراً : لماذا استمر لبنان عربيا ، ولم يستمر يونانياً او رومانياً او بيزنطياً او افرنجيا او مملوكيا ، واخيراً لماذا لم يستمر عثمانياً او تركيا ؟

لابد من الاجابة على هذا التساؤل وفق التصور التالي :

لقد بدأ التكوين اللبناني سابقا عرقا ولغة وحضارة ، نتيجة استقرار الفينيقيين في الساحل الفينيقي . ولما سيطر العرب

على هذه البقعة ، كان من الطبيعي ان يكون هناك نوع من الامتداد العرقي واللغوي - بغض النظر عن انقاذ العرب للسكان من ظلم الروم وتعسفهم - وكان من الطبيعي التجاوب بين الساميين القدامى والساميين الجدد . فقد تبين بان اللبناني تجاوب مع حضارته وعاداته وتقاليده ولغته . وبالرغم من ان الروم والبيزنطيين والصليبيين كانوا من اتباع المسيحية ، وبالرغم من ان المماليك والاتراك من اتباع الديانة الاسلامية . وبالرغم من بقاء هذه الاقوام مئات من السنين ، فان حضارتهم ولغاتهم لم تتجذر وتتأصل في الارض اللبنانية ، والعربية ، حتى ان الدولة العثمانية التي استمر حكمها اربعمائة عام (١٥١٦ - ١٩١٨) فانها لم تستطع تتريك لبنان والبلدان العربية الاخرى . ولهذا فان تلك القوميات والاقوام غير العربية لم تستطع الاستمرار في لبنان والمناطق العربية الاخرى ، لانهم لم يكونوا عرباً ولم يتعربوا عبر العصور ، ومن تعرّب منهم امتزج في هذه المناطق وانصهر بين ابنائها . ولقد كانت الاصول العربية اقوى من القوى المسيطرة الاخرى ، ولذلك فان لبنان عاد عربياً كما بدأ كينونته الاولى فينيقياً سامياً عربياً ، فذابت الفينيقية بمفهومها القديم لتحل محلها العروبة بمفهومها الحديث . وسادت اللغة العربية والعامية العربية مكان مختلف اللغات واللهجات التي عاشت آلاف السنين .

ويرى د . فريدريك معتوق انّ التعددية لا تنطبق على الواقع اللبناني ، حيث ان ما هو موجود على الارض هو تنوع

ثقافي . فالتنوع يعني الاختلاف في التوجه الثقافي ولا يعني التناقض ، ويعني الاختلاف في التوجه التعليمي بين طرفي المعادلة الاجتماعية . فاللبناني المسيحي من ابناء جبل لبنان عندما يذهب إلى اوروبا يشعر بالغربة وبالتميز الاجتماعي والثقافي عن الاوروبيين . وهذا ما يفسر تنافر اللبنانيين على اساس طائفي في لبنان ، والتقاءهم الحار والمميز في بلدان الهجرة .

واستناداً إلى بحث ميداني حول الانتشار التلفزيوني في شمالي لبنان (طرابلس ، الكورة ، البترون ، بشري وزغرتا) تبين بان مشاهدي البرنامج الثالث (الناطق بالفرنسية) هم اقل من ٨ر٣ ٪ في حين ان الغالبية الساحقة تفضل البرامج الناطقة باللغة العربية . وتبين بان غالبية المشاهدين في جميع الاقضية ، تفضل المسلسلات العربية والمسرحيات المصرية ، ثم المسلسلات الاجنبية . فالاذواق الثقافية لا تعترف بحدود الاعتبارات الطائفية .

اقتراحات وتطلعات حول ثقافة العيش المشترك في لبنان

ان المطلوب في المرحلة المقبلة لترتيب اوضاع لبنان هو ايجاد ثقافة وطنية للعيش المشترك وليس للتعايش . فالتعايش هي مرحلة مؤقتة تقوم بين شعبين او عدة شعوب ، في حين ان العيش المشترك هو الذي يقوم بين شعب واحد . وبادىء ذي بدء فان اية اقتراحات أو تطلعات يمكن تطبيقها وفق الاطر التالية الى ان يوفق اللبناني بالدولة العادلة والقوية ، بالدولة غير

الطائفية ، بالدولة العصرية وليس الدولة العنصرية ، لعل هذه الاقتراحات تسهم في بناء لبنان الحديث :

١ ـ تكوين مجلس اعلى للثقافة اللبنانية يتكون من (٣٠٠) ثلاثمائة اختصاصي في شؤون التاريخ والجغرافيا والاجتماع والتربية وعلم النفس ، تختار عناصره من التعليم الابتدائي والتكميلي والثانوي والجامعي ، ومن مختلف المناطق اللبنانية ، ويكون متفرغاً لوضع الصيغ الثقافية التوحيدية نظراً لاهمية هذه الوحدة ، ويكون مخولا في اجراء الثورة الثقافية بمفهومها الديمقراطي الاصيل .

٢ ـ توحيد الرؤى حول تاريخ لبنان وزعاماته وامرائه ومشايخه . ذلك انه لا يمكن توحيد لبنان طالما ان كل طائفة تنظر إلى أي موضوع من منظار يتناقض تماماً مع الطوائف الاخرى . فالموقف من الامير فخر الدين الثاني ليس موقفاً موحداً إلى الآن ، والموقف من الحملات الصليبية على بلاد الشام ، والموقف من دخول العرب إلى لبنان وبلاد الشام ، لا تزال إلى الان مواقف متباينة . وفي التاريخ المعاصر ، فان اخطر مشكلة تواجهها الامة العربية وهي المشكلة الفلسطينية وموضوع قيام اسرائيل ووجودها لا تزال مشكلة بين اخذ ورد بين اللبنانيين . فلا بد من ايجاد ثقافة سياسية وتاريخية توحد الآراء والاتجاهات . لان الثقافة الموحدة هي التي يمكن ان توحد الشعب في آرائه وتطلعاته واتجاهاته من القضايا السياسية والاجتماعية وسواهما .

٣ ـ ان توحيد الكتاب المدرسي او الجامعي لا يعني بالضرورة الانغلاق والانكماش ، ولكن الهدف من ايجاده توحيد الشعب ، مع فتح المجال امامه للاطلاع على مختلف اللغات والثقافات المحلية والاقليمية والدولية . كما ان المطلوب عدم وضع حجر على الشعب ، بل ترقيته وترقية ثقافته ونقلها والاخذ بها من المفهوم الطائفي التقسيمي إلى المفهوم التوحيدي .

٤ ـ تحصين المجتمع اللبناني من الثقافات التقسيمية المحلية والاقليمية والدولية بتعميق وتدريس ونشر الثقافة التوحيدية .

٥ ـ التأكيد على فشل المشاريع التقسيمية وفشل مشروعات القائمقامية عام ١٨٤٢ وفشل مشروع متصرفية جبل لبنان ١٨٦١ ، وفشل مختلف المشروعات اللبنانية القائمة على التجزئة والتقسيم . والتأكيد على ضرورة الاخذ بنظرية « نفعية التاريخ » المتضمنة التجارب السلبية والايجابية في تاريخ لبنان ، فنأخذ ونطبق الايجابيات ونبتعد عن السلبيات . وهنا محك العمل الثقافي والتثقيفي بين الفئات الاجتماعية المختلفة .

٦ ـ ان المسلم اللبناني يرى ان الترويج للكتابة بالحرف اللاتيني هي مؤامرة على المسلمين وعلى القرآن الكريم الذي انزل عربياً . فبالاضافة إلى المحاولات الحثيثة لتعميم اللهجة اللبنانية العربية للكتابة فيها ، هناك محاولات لكتابة هذه اللهجة بالحرف اللاتيني . ان الاستاذ سعيد عقل والسيدة مي

المر وسواهما ينشطون من اجل تحقيق هذا الهدف . وقد عرض على احد طلاب جامعة بيروت العربية ـ قسم اللغة العربية ـ القيام بكتابة سور القرآن الكريم بالحرف اللاتيني ، على ان يتولى الاستاذ عقل نشر هذه الطبعة والترويج لها ، وذلك بعد ان نجح في نشر مقتطفات من نهج البلاغة . فالمطلوب من القوى الفكرية التي تبنت نشر الحرف اللاتيني الاقلاع عن هذه المشروعات ، لان المسلم يرى ان مثل هذه المشروعات لا تساهم في توحيد الثقافة اللبنانية ولا في توحيد اللبنانيين .

٧ ـ العمل على عدم نشر الثقافة المؤذية للفئات اللبنانية ولمشاعرها الدينية خاصة ، فمن المعلوم عند المسلمين ايماناً وكتابة ان دين المسلم لا يكتمل إلا بالاعتقاد بجميع الانبياء والرسل ، فبالاضافة إلى رسولهم محمد (ﷺ) يعتقدون بالرسول عيسى عليه السلام وبسواه . وفي حين نرى ان القرآن الكريم والكتابات الاسلامية تعظم السيد المسيح ، نرى بان كتابات المنطقة الشرقية من بيروت ودراسات الكسليك وبعض الاسماء المستعارة تهتك نبوة النبي محمد وتشهر بطهارته وقدسية رسالته . فقد جاء في احدى نشرات « القضية اللبنانية » ان معظم زوجات النبي وفرها له اصحابه ايام الغزو ، وان عزاء الشهيد المسلم في الجنة هو في متعته الكبرى وما ترغب شهوته من نساء حور العيون جميلات وعذارى (هكذا) . واضافت النشرة : ان تفصيل انواع الزواج الشائع

عند المسلمين في تراثهم الحضاري الاجتماعي لا يخفى على احد « كل فنون التهتك والمجون سبق بها الاسلام دول اسكندنافيا بأكثر من ١٣٠٠ سنة سواء على صعيد الخلفاء ، او على صعيد العامة من كتاب وشعراء ومجتهدين ومؤمنين » . واخيراً انتهت دراسة الكسليك الى أن لبنان امانة تاريخية وحضارية في عنق الموارنة وليس في عنق المسلمين الذين يفتقرون إلى لمعة ضمير . ولا اريد الاستطراد كثيراً بما كانت تتضمنه صحيفة « الماروني » وبما تضمنه كتاب « موران » الموجه إلى اطفال الموارنة والمسيحيين عامة .

٨ ـ القضاء على الثقافة الصهيونية او المتصهينة التي تسربت إلى المجتمع اللبناني واثرت فيه بشكل واضح . فنحن نعلم بان المسيحيين ليسوا اقل كرها لليهودية من المسلمين ، ونحن نعلم بان اليهود يساوون بين المسيحيين والمسلمين في الكراهية ، فالارتماء في احضان الثقافة اللبنانية والعربية هي الضمانة الوحيدة لاستقرار لبنان في محيطه وبين اشقائه ، اما القول بان اسرائيل هي المنقذ الحقيقي للمسيحيين ، فهو طرح لا تكمن خطورته في المضمون السياسي فحسب ، ولكن خطورته تتفاحل لكونه يتضمن مفاهيم ثقافية تَعبُر إلى العقل المسيحي لا سيما النشء الجديد . ومن هنا لا بد من القضاء على الثقافة المتصهينة حتى نؤمن توحيد الشعب اللبناني .

٩ ـ ضرورة تعميق الثقافة النضالية ضد عدو واحد هو العدو الاسرائيلي . لان تعميد الوحدة اللبنانية يجب ان تكون

بالدم المسلم والدم المسيحي معاً . فالواقع يشير إلى ان المسلمين فقط هم المناضلون ضد اسرائيل ، في حين ان بقية الفئات والطوائف اما تشاهد النضال او تتحالف مع العدو . ومن يطلع على خفايا السياسة اللبنانية يدرك تماماً الهدف الذي سعى إليه رياض الصلح منذ العام ١٩٤٣ ولغاية العام ١٩٤٨ ، فقد كانت استراتيجيته قائمة على ضرورة تضحية المسيحي واستشهاده إلى جانب المسلم من اجل القضايا العربية . وقد قال رياض الصلح مرة لرئيس الجمهورية بشارة الخوري : ان رئاسة الجمهورية ليست هي الضمانة الحقيقية للموارنة ، انما ضمانتهم الثابتة والاكيدة هي في مشاركتهم المسلمين والعرب تضحياتهم وحروبهم ، فلا يجدون اذ ذاك من يتميز عليهم ومن يفوقهم مشاركة وتضحية .

١٠ ـ عدم الالتفات إلى ثقافة الحرب اللبنانية لا سيما منها الثقافة التقسيمية والتدميرية . فالواجب يقضي عدم بناء لبنان المستقل على ثقافة الحرب . ويجب ان لا نأخذ من الازمة اللبنانية قاعدة ، ذلك لاننا عشنا مآسيها ومرارتها وفعلها وردود فعلها ، وبالرغم من ذلك علينا ان لا نعطي الاجيال المقبلة معاناة الاجيال الحاضرة ، ذلك لان الانسان ابن الفطرة فتبعاً لما تعطيه وتربيه ينشأ وينمو . ولقد شهدت المجتمعات الاسلامية فيما بينها عبر التاريخ تذابحاً اشد وادهى مما شهدته الساحة اللبنانية ، وشهدت المجتمعات المسيحية ومنها الاوروبية والمشرقية تذابحاً اشد وادهى ايضاً من التذابح

اللبناني . فالمطلوب عدم بناء لبنان المستقبل على ثقافة الحرب اللبنانية . علماً انه لا بد ان يؤخذ من هذه الثقافة كل ايجابية توحيدية متفق عليها ، والابتعاد عن كل سلبياتها .

١١ ـ تطبيق المواد الدستورية الخاصة بالثقافة والتعليم والاعتقاد الديني والنظام العام ، والتي تنظم هذه العملية . فالمادة (٩) من الدستور اللبناني تنص على ما يلي « حرية الاعتقاد مطلقة والدولة بتأديتها فروض الاجلال لله تعالى تحترم جميع الاديان والمذاهب وتكفل حرية اقامة الشعائر الدينية تحت حمايتها على ان لا يكون في ذلك اخلال في النظام العام ، وهي تضمن ايضاً للاهلين على اختلاف مللهم احترام نظام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية » . وتنص المادة (١٠) من الدستور على ما يلي « التعليم حر ما لم يخل بالنظام العام او ينافي الآداب او يتعرض لكرامة احد الاديان او المذاهب ، ولا يمكن ان تمس حقوق الطوائف من جهة انشاء مدارسها الخاصة ، على ان تسير في ذلك وفاقاً للانظمة العامة التي تصدرها الدولة في شأن المدارف العمومية » .

١٢ ـ باعتبار لبنان مؤسساً وعضواً عاملاً في جامعة الدول العربية ، لا بد من ان يتقيد بالقرارات السياسية والعسكرية والثقافية التي تصدر عن الجامعة ، اذ ان من اولى الملاحظات على لبنان واللبنانيين انهم يريدون الاستفادة من خيرات العالم العربي دون الالتزام بقضاياه . وطالما اننا نتحدث عن الواقع الثقافي ، فان لبنان لم يتقيد حتى بقرارات جامعة الدول العربية

التي لها طابع ثقافي . ففي ٢٣ / ٩/ ١٩٥٢ صدر قرار عن الجامعة رقم (٤٥٧) في الدورة (١٦) في الجلسة (٥) تضمن ما يلي :

« يوصي المجلس الحكومات بالاتقرر جهات الاختصاص للتدريس إلا الكتب التي عني مؤلفوها باستيعاب القدر المشترك من عناصر الثقافة العربية الذي حدده المؤتمر الثقافي المنعقد في لبنان في سنة ١٩٤٧ لمناهج اللغة العربية والتاريخ والتربية الوطنية والجغرافيا » .

ان هذا القرار بما يتضمن من مفاهيم هامة لتوحيد الرؤى اللبنانية والعربية حول عناصر الثقافة العربية ، انما تبناه لبنان منذ العام ١٩٤٧ ،وصدر قرار خاص به عن مجلس الجامعة عام ١٩٥٢ لتأكيد مشروعيته ، فكان لبنان اول دولة عربية ناقضته وخالفته ، نظراً للفكر السياسي والطائفي السائد في الدولة والمؤسسات ، ونظراً للفوضى القائمة ، واستناداً إلى عدم التزام الحكومات بتنفيذ القرارات بما فيها قراراتها الصادرة عنها ، واستناداً إلى التمييع والميوعة في اتخاذ المواقف ، حتى باتت الدولة هي الجهة المستضعفة منذ العام ١٩٤٣ ، مع الاشارة إلى ان المؤسسات الطائفية هي التي كانت توجهها، ولم تكن الدولة هي الموجه، وهنا لا بد ان نطرح التساؤل التالي على الذين يدعون الاخلاص للبنان : هل ما يطرحه اسبوعياً الاستاذ فؤاد افرام البستاني من خلال الاجهزة الاعلامية المرئية الخاصة يساهم في توحيد اللبنانيين وفي توحيد لبنان ؟

١٣ ـ ضرورة تعميق المفهوم الثقافي الديني الايماني البعيد عن الطائفية والتعصب الذميم ، وانطلاقاً من مفاهيم المحبة والمودة والعدالة والحق والمساواة التي اتى بها الاسلام واتت بها المسيحية . فالمسلم المؤمن والمسيحي المؤمن ممكن ان يتفقا أكثر مما لو لم يكونا مؤمنين . فمادة الثقافة الدينية التي من الواجب ان تدرسها الاجيال اللبنانية ضرورة مهمة لا سيما في هذه السنوات التي اضحى فيها اللبناني بعيداً عن اللبناني والمسلم بعيداً عن المسيحي . فالانسان عدو ما يجهل . وبالمناسبة فان العلمانية (بفتح العين وليس بكسرها نسبة إلى العالم الدنيوي) (Laisme) بالفرنسية او (Secular-ism) بالانجليزية ، ليست هي الحل في لبنان ، وبالرغم من ان الكثير من المسيحيين يطرحونها لتخويف المسلمين منها ، غير ان الواقع يثبت بان العلمانية مناقضة ومخيفة للمسيحية لا سيما في لبنان أكثر مما هي مناقضة ومخيفة للمسلمين .

ان السيد المسيح (عليه السلام) الذي قال : « احبوا اعداءكم » والذي قال « احبوا بعضكم بعضاً كما انا احببتكم » والذي دعا إلى المحبة ، فإن الرسول محمد (ﷺ) دعا بدوره إلى المحبة ، كما ان القرآن الكريم دعا إلى المحبة والتحاور مع اهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي احسن . بل اكثر من ذلك فان المرجع الاول للموازنة والكاثوليك في العالم لم ير مانعاً في القرن التاسع عشر من تطبيق الشريعة الاسلامية على اتباعه . فقد اصدر مجمع الايمان في روما فتوى ارسلها

إلى البطريرك الماروني يوسف التيان في ٧ ايار ١٨٠٣ ، وقد تضمنت ما يلي : « ان هذا المجمع المقدس قد ارتأى انه من الواجب على المسيحيين ان يراعوا الشريعة الوطنية بشرط ان لا يكون فيها ما يخالف العادات الحميدة ، وذلك ، اولا لانهم مرؤوسون ، وثانياً لوجوب المساواة ما بين ذوي التابعية الواحدة ، ولهذا يتعين عليهم اتباع هذه القاعدة في فصل الدعاوي المدنية » .

والامر اللافت للنظر في هذه الفتوى استخدام مجمع الايمان في روما عبارات « من الواجب » ، و« يتعين عليهم » و« وجوب المساواة بين ذوي التابعية الواحدة » . لهذا لم يجد قضاة الموارنة من الكهنة أي حرج في تطبيق الفقه الحنفي لا على مسائل الارث فحسب ، بل على مسائل عديدة تدخل اليوم في نطاق الاحوال الشخصية متشعبة الاحكام .

ولما كان لبنان اليوم لا يطبق تشريعات دينية واحدة موحدة ، بسبب تعدد طوائفه ، فعلى الاقل يجب العمل على تثقيف الاجيال اللبنانية والطلاب بواسطة مادة « الثقافة الدينية » .

١٤ ـ انطلاقاً من المفاهيم الدينية السالفة الذكر ، فقد حث القرآن الكريم على اللقاء مع اهل الكتاب ، وقال في النصارى المؤمنين ، ما لم يقله النصارى في انفسهم . ومما جاء في القرآن الكريم :

« قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا

نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاًاربابـاً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهد بانا مسلمون » سورة آل عمران ـ الآية (٦٤) . وحول موقف الاسلام من اليهود والنصارى جاء في القرآن الكريم « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانـاً وانهم لا يستكبرون » سورة المائدة ـ الآية (٨٢) . وحول ايمان المسلم بجميع الانبياء ورد في القرآن الكريم « قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » سورة آل عمران ـ الآية (٨٤) . وفي قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى بـه نوحـاً والذي اوحينـا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليـه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب « سورة الشورى ـ الآية (١٣) .

وحول موقف الاسلام من عيسى المسيح (عليه السلام) واتباعه جاء في القرآن الكريم : « ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله » . سورة الحديد ـ الآية (٢٧) .

واخيراً وحول الجذور والاصول الواحدة للانسان ، وحول ضرورة التعارف والتلاقي جاء في القرآن الكريم :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .
سورة الحجرات ـ الآية (١٣) .

* * *

وبعد ، فانني لا ادعي تمثيل المسلمين او الوطنيين فيما طرحته من آراء حول : « أية ثقافة مستقبلية للتعايش في لبنان » ولكن يمكن القول ان ما طرحته يمثل الكثير مما يجول في خاطر المسلمين الذين يمثلون فريقاً كبيراً في لبنان ، والذي يبدو ان بعض المسيحيين لا يعرفون كل ما يجول في اذهان المسلمين ولا يعرفون بعض اتجاهاتهم وتياراتهم ، وبالتالي فالمطلوب من المسيحيين ان يحددوا : « اية ثقافة مستقبلية للتعايش في لبنان » لكي يطلع المسلم على هذه الرؤى ، ومن ثم العمل على التدقيق في هذه الاراء والتطلعات للحكم لها ام عليها .

اما المصيبة الكبرى فتكمن فيما اذا كان فريق يعلم تماماً آراء وتطلعات الفريق الآخر ، ولا يريد البحث فيها او الالتفات إليها او التجاوب معها . ومعنى ذلك استمرار الانقسام والتفتيت والضياع ، ومعنى ذلك استمرار اللبنانيين شعوباً وليس شعباً وقبائل ولكن دون ان تتهيأ الفرص للتعارف والتعايش والعيش المشترك .

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ احمد ابو سعد : الاصالة العربية في اللهجة اللبنانية ، المقاصد ، العدد السابع ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢ .
٣ ـ احمد التهامي بوطبة : الصلاة في الاديان الثلاثة (الاسلام ، المسيحية ، اليهودية) الدار التونسية للنشر ١٩٨١ .
٤ ـ البرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩ ، تعريب : كريم عز قول ، دار النهار ، بيروت ١٩٦٨ .
٥ ـ انطون بطرس عريضة البطريرك الماروني الانطاكي وسائر المشرق : لبنان وطن قومي للنصارى في الشرق الادنى . مذكرة مقدمة من البطريرك الماروني إلى هيئة الامم المتحدة ١٩٤٦ .
٦ ـ الاب الياس اندراوس البولسي : لاجل الاتحاد ـ محاضرات القيت في كاتدرائيتي بيروت ودمشق للروم الكاثوليك ١٩٣٠ ـ مطبعة القديس بولس في حريصا .
٧ ـ اميل حبوش : اساليب السياسة الفرنسية ـ بيروت ١٩٤١ (تقرير مرسل إلى الحكومة البريطانية) .
٨ ـ د . انيس فريحة : دراسات في التاريخ ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٨٠ .
٩ ـ الاب بطرس ضو : موارنة الغد على ضوء تاريخهم ، محاضرة مقفلة القيت

في كنيسة مار عبدا الفوقا ـ بعبدا (لبنان) ـ في عيد مار مارون في ٨ شباط (فبراير) ١٩٧٧ .
١٠ ـ الاباتي بطرس فهد (تحقيق) : كتاب « الهدى » دستور الطائفة المارونية في الاجيال الوسطى ، دار لحد خاطر ـ بيروت ١٩٨٥ .
١١ ـ بيار الجميل : لبنان واقع ومرتجى ، العمل ـ بيروت ١٩٧٠ .
١٢ ـ د . جمال الدين الشيال : رفاعة رافع الطهطاوي ، دار المعارف ـ مصر ١٩٨٠ .
١٣ ـ حسان حلاق : التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ ـ ١٩٥٤ . معهد الانماء العربي ، بيروت ١٩٨٤
١٤ ـ حسان حلاق : ملامح من تاريخ الحضارات ، الدار الجامعية ، بيروت ١٩٨٤ .
١٥ ـ حسان حلاق : من الفينيقية إلى العروبة (مقال) في الموقف ، العددان (١٠) و(١١) آذار (مارس) نيسان (ابريل) ١٩٨٤ .
١٦ ـ حسان حلاق : العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (الاندلس ـ صقلية ـ الشام) مكتب كريدية ، بيروت ١٩٨٥ .
١٧ ـ حزب الله : قبسات من الفكر التربوي للامام الخميني ، التعبئة الطلابية ـ بيروت (بدون تاريخ) .
١٨ ـ الدستور اللبناني مع تعديلاته ، مطبعة صادر ـ بيروت ١٩٦٢ .
١٩ ـ الاب رفائيل نخله اليسوعي : غرائب اللهجة اللبنانية ـ السورية ، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٢ .
٢٠ ـ د . زكي النقاش : اضواء توضيحية على تاريخ المارونية ، دار لبنان ـ بيروت ١٩٧٠ .
٢١ ـ زين زين : نشوء القومية العربية ، دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٧٩ .
٢٢ ـ د . سامي الدهان : عبد الرحمن الكواكبي ، دار المعارف ـ مصر ١٩٨٠ .
٢٣ ـ طوني مفرج : حرب الردة ، بيروت ١٩٧٩ .
٢٤ ـ د . فردريك معتوق ؛ تنوع ثقافي لا تعددية ثقافية ، جروس برس ـ طرابلس الشام ١٩٨٤ .

٢٥ ـ د . فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ، جـ ١ ، دار الكشاف ـ بيروت ١٩٦٥
٢٦ ـ قرارات جامعة الدولة العربية ـ القاهرة ١٩٥٢ .
٢٧ ـ الكسليك : لبنان امانة تاريخية وحضارية في عنق الموارنة ، سلسلة « القضية اللبنانية » رقم (١٨) كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٦ .
٢٨ ـ الكسليك : الذكرى المئوية الرابعة للمدرسة المارونية في روما ١٥٨٤ ـ ١٩٨٤ ، الكسليك ـ لبنان ١٩٨٥ .
٢٩ ـ كمال جنبلاط : حقيقة الثورة اللبنانية ، بيروت ١٩٥٩ .
٣٠ ـ كمال الحاج : الطائفية البناءة اوفلسفة الميثاق الوطني ، بيروت ١٩٦١ .
٣١ ـ كمال الحاج : فلسفة كلفتني دمي ، رابطة الفلسفة اللبنانية ١٩٧٨ .
٣٢ ـ كميل شمعون : مراحل الاستقلال ـ لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية ـ بيروت ١٩٤٩ .
٣٣ ـ كونتنو (ج) : الحضارة الفينيقية ، تعريب : د . محمد عبد الهادي شعيرة ، مركز كتب الشرق الاوسط ـ القاهرة ١٩٤٨ .
٣٤ ـ د . محمد المجذوب : مصيرلبنان في مشاريع منشورات عويدات بيروت ـ باريس ١٩٧٨ .
٣٥ ـ محمود ابو ريه : جمال الدين الافغاني ، دار المعارف ـ مصر ١٩٨٠ .
٣٦ ـ د . مصطفى خالدي ، د . عمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة العربية ـ بيروت ـ صيدا ١٩٧٣ .
٣٧ ـ الاب مرتين اليسوعي : تاريخ لبنان ، تعريب : الخوري الشرتوني ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٨٩ .
٣٨ ـ المركز الثقافي للبحوث والتدقيق (صيدا) : مساهمة في الحوار الاسلامي ـ المسيحي في الجنوب اللبناني ـ ١٩٨٤ .
٣٩ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضعه : محمد فؤاد عبد الباقي ـ القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤ هـ .
٤٠ ـ المؤتمر العربي الاول في باريس ١٩١٣ ، صادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر ـ القاهرة ١٣٣١ ـ ١٩١٣ .
٤١ ـ ميثاق جامعة الدول العربية وبروتوكول الاسكندرية ، صادر عن الامانة =

= العامة للجامعة ـ القاهرة (بدون تاريخ) .
٤٢ ـ الاب ميشيل يتيم ، الاب اغناطيوس ديك : تاريخ الكنيسة الشرقية واهم احداث الكنيسة الغربية ، مطبعة الاحسان ـ حلب ١٩٦٣ .
٤٣ ـ الاب هنري لامنس اليسوعي : تسريح الابصار في ما يحتوي في لبنان من الاثار ، الطبعة الاولى ١٩١٣ ـ الطبعة الثانية عن دار الرائد اللبناني ـ ١٩٨٢ .
٤٤ ـ د . ناديا شريف العمري : اضواء على الثقافة الاسلامية ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٥ .
٤٥ ـ وليد فارس : التعددية في لبنان ، الكسليك ـ لبنان ١٩٧٩ .

دوريات

٤٦ ـ آفاق (مجلة) : دراسة عن العلمنة (مجموعة من المفكرين اللبنانيين) ، رئيس التحرير : جيروم شاهين ، عدد خاص ـ بيروت حزيران (يونيه) ١٩٧٨ .
٤٧ ـ التقرير الاسلامي رقم (١٤) ، ٢٤ تموز (يوليه) ١٩٨١ ، صادر عن المركز الاسلامي للتربية ـ بيروت .
٤٨ ـ الموقف ـ العددان (١٠) و(١١) آذار (مارس) ونيسان (ابريل) ١٩٨٤ ،
(٤٩) ـ النهار (بيروت) ١٩٤٦ .
٥٠ ـ Azoury , n ; Le Reveil de La Nation Arabe dans L 'asie Turque , Paris 1905 .
٥١ ـ Binder ,L ; (ed .) Politics in Lebanon , New — york , London , Sydney 1966 .
٥٢ ـ Dussaud , R ; La Pénétration des Arabes en syrie avant L'islam ,Paris 1950 .
٥٣ ـ Rabbat , E ; La Formation Historique du Liban Politique et Constituionnel , Beyrouth 1973 .
٥٤ ـ Spears , E ; Fulfilment of a Mission Syria and Lebanon , Great Britain 1977 .